أثر الوقف والابتداء في الجهة (Aspect) ودلالاتها اللّسانيَّة

The impact of pause and beginning on aspect and their linguistic implications

د. مهند ناصر القُريشيّ
مدرس
وزارة التَّعليم العالي والبحث العلمي– مركز البحوث النَّفسيَّة

Dr. Mohannad Nasser Al-Qurayshi
lecturer
Ministry of Higher Education and Scientific Research- Psychological Research Center

muhannad761@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الوقف والابتداء، الجهة، الزَّمن

Keywords: Pause and Beginning, Aspect, Time

الملخص

يُعَدُّ علم الوقف والابتداء أحد الأبواب المُهمَّة التي أولاها علماء القراءة والتَّجويد اهتماماً كبيراً، لما له من ارتباطٍ وثيقٍ بدلالات الآيات القرآنيَّة؛ إذ إنَّ الوقف في موضعٍ ما، والابتداء بآخرَ، له أثره في تحديد المعنى؛ ولذا توجَّب على قارئ القرآن أن ينال حظّاً وافراً من المعرفة به؛ لضمان القراءة بإحكام وإتقان، وتجنُّب اللَّحن والخطأ في أثناء القراءة، ولعلَّ إتقان الوقف والابتداء يتطلَّب إحاطة جيِّدة بعلوم التَّفسير وأسباب النزول، وعدّ الآي، والرَّسم العثماني، واللُّغة، والنَّحو، والبلاغة، وغيرها، فكلُّ هذا العلوم وسائل تُمكِّنُ القارئ من معرفة المواضع التي يجب، أو يجوز، أو يُستحسن الوقفُ عندها، فضلاً عن معرفة ما يَقبُحُ، أو يَمتنعُ الوقفُ عنده، وكذلك الابتداءُ بالجمل التي لا تُخِلُّ بالمعنى، ولا تُغيِّرُ مقاصده.

وإذْ تَحمِلُ لسانيَّاتُ الجهة في طيَّاتِها دلالاتٍ جِهيَّةً، فإنَّ للوقف والابتداء أثراً في توليد تلك الدَّلالات، أو تغيُّرها، بناءً على الموضعِ الذي يُوقَفُ عنده، والذي يُبتدَأ به، ولذا تأتي هذا الورقة البحثيَّة هادفةً إلى البحث عن ذلك الأثر – الذي ينتج عن أحكام الوقف والابتداء – في مفهوم الجهة ودلالاته اللِّسانيَّة، وسنُقسِّمها على مبحثين: الأول سنتحدث فيه عن مفهوم الجهة بوصفه مفهوماً لِسانيَّاً، فيما سيكون المبحث الثاني لبيان الأثر الذي يؤدِّيه الوقف والابتداء في المعاني الجِهيَّة.

Abstract

The science of pause (waqf) and beginning (ibtida) is considered an important field that has received significant attention from scholars of recitation and Tajweed due to its close connection to the semantic meanings of Quranic verses. Pausing at a specific point or beginning from another point has an effect on determining the meaning. Therefore, a Quran reader must acquire extensive knowledge of this subject to ensure accurate and proficient recitation, avoiding melody and errors during recitation. Mastering pause and beginning requires a good understanding of the sciences of interpretation, reasons for revelation, verse counting, Ottoman script, language, grammar, rhetoric, and others. All these sciences enable the reader to identify the positions where pausing is required, allowed, or recommended, as well as knowing what makes pausing inappropriate or forbidden. Similarly, beginning with sentences that do not distort or alter their intended meanings .

Since linguistic aspects carry regional connotations, pause and beginning have an impact on generating or changing those connotations based on the position of the pause or the point of beginning. Therefore, this research paper aims to investigate the impact of pause and beginning rulings on regional linguistic significations. The paper will be divided into two sections: the first section discusses the concept of linguistic implications, while the second section elucidates the impact of "waqf" and "ibtida'" on linguistic meanings.

المُقَدِّمة

يوصف علم الوقف والابتداء بأنَّه من أجلِّ علوم الكتاب الحكيم؛ لأنَّه يستعان به في فهم القرآن، والغوص في دُرره وكنوزه، وتتضح به الوقوف التَّامَّة، والكافية، والحِسان، فتَظهر للسَّامع المتأمِّل، والقارئ المتدبِّر، المعانيَ على أكمل وجوهها وأصحِّها، وأقربها لمأثور التَّفسير، ومعاني لغة العرب؛ إذ إنَّ اعتماد علماء الوقف والابتداء في وضع الوقوف وتفصيلاتها، وبيان وجوهها، مبنيٌّ على النَّظر في معاني الآيات، وكلامهم في المعاني، فلا ريب أنَّ علم الوقف والابتداء من العلوم التي تُفسَّر بها وجوه الدَّلالات القرآنيَّة؛ إذ المقصود منه بيان مواضع الوقف؛ لجَعْلِ القارئ يراعي المعاني، فيقف ويبتدأ بحسب ما يقتضيه المعنى واللَّفظ، ولا يكون ذلك إلَّا بتدبُّرٍ واهتمامٍ بالمعاني، فالنَّظرُ في الوقف معينٌ على التَّدبُّر(١).

ويعالج مفهوم الوقف والابتداء جانباً مهماً في أداء العبارة القرآنيَّة، فهو يوضح كيف وأين يجب أن ينتهي القارئ لآي القرآن الكريم، بما يُحقِّقُ توافقاً مع وجوه التَّفسير، واستقامة المعنى وصحَّة اللغة، وما تقتضيه علومه من نحوٍ وصرفٍ ولغةٍ، حتى يستوفي القارئُ الغرضَ كلَّه من قراءته، فلا يخرج على وجه مناسب من التَّفسير والمعنى من جهة، ولا يخالف وجوه اللُّغة، وسبل أدائها، التي تُعين على أداء ذلك التَّفسير والمعنى، وبهذا يتحقَّق الغرض الذي من أجله يُقْرَأ القرآن، ألا وهو الفهم والإدراك(٢)، فهذا العلم ينفتح بتعلُّمه، وإعمال الفكر فيه من مقاصد القرآن؛ فإذا لم يراعِ القارئ الوقف بحسب المعنى، لن يفهم دلالة الجملة أو الكلام، وربَّما فوَّت على السَّامع فهم المعنى، وقد لا يظهر بذلك وجه الإعجاز(٣).

وفي ضوء ما تقدم نرى أنَّ الكشف عن جزء كبير من المقاصد الذَّاتيَّة والمنظوريَّة للمتكلِّم داخل البِنى الزَّمنيَّة والجِهيَّة للنَّصِّ القرآنيِّ له علاقة وطيدة بالوقف والابتداء؛ لأنَّ شكل الجهات الزَّمنيَّة ونوعها مرتبط بالكيفيَّة التي يتحقَّق بها الوقف والابتداء؛ لأنَّه يؤدي أثراً بارزاً في تحقُّقها، فقد يُسهم في تغيير الدَّلالات الجِهيَّة إلى أخرى لا يَنشدُها النَّصُّ القرآني، مِمَّا يَترتَّب على ذلك تغييرٌ في أداء المعنى المُبتغَى وطبيعته.

وبناءً على ذلك تُعدُّ مشكلة البحث الرئيسة مبنيَّة على التساؤل الآتي: ما أثر الوقف والابتداء في دلالات الجهة بوصفها مفهوماً لسانيًّا؟ وكيف سيسهم ذلك الأثر في أداء المعنى، وتحقيق العبارة القرآنيَّة المقصودة؟ ولبيان ذلك سنقسِّم البحث على مبحثين: الأول: نُبيِّن فيه مفهوم الجهة بوصفه مفهوماً لسانيًّا، وأمَّا الثَّاني: فسنقف فيه عند أثر الوقف والابتداء في الدَّلالات الجِهيَّة اللِّسانيَّة.

---

(١) يُنظر: فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات: ٥، ٦.

(٢) يُنظر: منار الهدى في الوقف والابتدا (مقدمة المحقق): ٨.

(٣) يُنظر: فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات: ١٨.

المبحث الأول

مفهوم الجِهة في اللِّسانيَّات

للجهة تعريفات مُتعدِّدة، يَصْعُبُ حصرها في تعريفٍ جامعٍ مانعٍ؛ لأنَّها مقولة لسانيَّة، ومنطقيَّة، ونحويَّة، ودلاليَّة، وبلاغيَّة، فقد عرَّفها الباحثون بتعريفاتٍ لها نزعة باتِّجاه إحدى المقولات المذكورة، بناءً على اهتماماتهم، وتوجُّهاتهم اللِّسانيَّة، أو المعرفيَّة، وقد عُرِّفتْ لِسانيًّا بأنَّها السِّمة، أو الميزة الدَّلاليَّة التي يتخذُها الحدثُ الذي يُعبِّرُ عنه الفعلُ في علاقةٍ بالزَّمن النحوي، ويشير هذا التعريف إلى ارتباطها المتين بالزَّمن على الرَّغم من انفصاله شكليًّا عنها، بمعنى أنَّ الجهة هي الصِّيغ والأوضاع والأحوال الدَّلاليَّة التي يدلُّ عليها حدث الفعل، فتكون داخليَّة الدَّلالة، بينما الزَّمن خارجيّ القالب والإطار(١)، بيد أنَّ الفصل بين الزَّمن والجهة ليس بالأمر اليسير، ويشهدُ على ذلك استعمال النَّحويِّين العرب مصطلح (الزَّمان) في تعيينهم ظواهر لغويَّة، تُدرجُ – لسانيًّا – في ضمن مقولة الجهة(٢).

ويُميِّزُ اللِّسانيُّون بين نمطين للجهة: الأول: جهة الأوضاع أو ما يُسمَّى بطبيعة معنى الحدث، ويقصدون بها مقولة دلاليَّة ومعجميَّة، تدلُّ على معاني الأفعال ومشتقاتها، وفي ضوئها تُصنَّفُ الأفعال في طبقات، وتُوَصَفُ عن طريقها بأنَّها ممتدَّة، أو غير ممتدَّة، أو محدودة أو غير محدودة، أو ساكنة أو حركيَّة... إلخ، والآخر: جهة الصّيَغ، وتتعلَّقُ بجهتَي التَّمام واللَّاتمام المرتبطتَيْنِ بصيغتَيْ (فعَلَ) و(يَفْعَل)، سواء كانتا مبنيتَين للمعلوم أم للمجهول، وجهة التَّركيب التي تحيلُ على جهات الزَّمن المختلفة، في الماضي، والحاضر، والمستقبل(٣).

ويُفرَّق بين النَّمطَيْن المذكورَيْن في أمورٍ عدَّة، أبرزها ما يأتي:

١- جهة الوضع صنفٌ موضوعيّ؛ لأنَّها تُعنى بحقيقة تكوين الوضع الموصوف، وتُحدِّدُ طبيعته من حيثُ وصفه ساكناً أو حركياً، أما جهة الصّيغ فهي صنف ذاتيٌّ؛ إذ إنَّها تُعنى بوجهة نظر المُتكلّم تُجاهَ الوضع الموصوف.

٢- جهة الوضع مقولة دلاليَّة، وجهة الصِّيغ ذات صبغة نحويَّة.

٣- يُعبَّرُ عن جهة الوضع بالمعاني المُعجميَّة للأفعال، فيما تُعدُّ جهةُ الصّيغ تركيبيَّة؛ لأنَّه يُعبَّرُ عنها بوساطة الصُّرْفات والتَّراكيب.

---

(١) يُنظر: الجهة في القرآن الكريم: ٢٣.

(٢) يُنظر: مقولة الحدث الدَّلاليَّة في التَّفكير اللُّغويّ: ١٧٦.

(٣) يُنظر: لسانيات الجهة في اللُّغة العربيَّة (بحث): ٩٧، والأنماط الجِهيَّة في صورة فَعَل، مطبوع في ضمن كتاب البنى الزَّمنيَّة وأشكالها: ١١٧.

٤- تُوصَفُ جهةُ الصِّيغ بأنَّها جزء من النّظام الزَّمنيّ، وتُقدَّم التَّقابلات الجهيَّة بوصفها تقابلاتٍ بين التَّمام واللَّاتمام، ومن ثَمَّ تُوصَفُ بأنَّها ثنائيَّة، خلافاً لجهة الوضع(١).

ولأنَّ جهة الصِّيغ مقولة صرفيَّة ونحويَّة وتركيبيَّة، فإنَّ أثر الوقف والابتداء يبرز فيها بشكلٍ واضحٍ؛ ولذا سينحصر اهتمامنا على الجهات التي تندرج تحت هذا الصِّنف دون غيرها من الجهات.

أمَّا جهة التَّمام (Perfective) فتُعرف بأنَّها مقولة جِهيَّة تَصِفُ الأحداث بأنها كُلٌّ مُوحَّدٌ، فلا تُميِّزُ بين المراحل التي يتكوَّن منها، كما في المثال الآتي:

- حكمَ زيدٌ البلادَ ثلاثين سنةً.

فمدة الحكم جُمعت على أنَّها كلٌّ واحدٌ تامٌّ، غير قابل للتَّحليل، أو التَّفكيك، فبداية الحكم، ووسطه، ونهايته، انصهرت في بعضها، وهذا يعني غياب البِنية الزَّمنيَّة الدَّاخليَّة للحدث، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه المقولة ترتبط بالأفعال الدَّالَّة على الأحداث الماضية والتَّامَّة(٢).

وأمَّا جهة اللَّاتمام (Imperfective) فالسِّمة المُميِّزة لها هي استمراريَّة الحدث في جميع الأزمنة؛ إذ تُركز على الحدث الذي يتصف بالاستمرار، أو التَّكرار في الماضي، أو الحاضر، أو الاستقبال(٣)، ويوضِّحُ (كومري) أنَّ هذه المقولة الجِهيَّة تدلُّ على البِنية الزَّمنيَّة الدَّاخليَّة للوضع، أي: يُنظَرُ إليه من حيثُ مكوناته الدَّاخليَّة، ولا يتنافى وجودها مع التَّمام في اللُّغة نفسها، إذا ما توافرت الوسائل الدَّالةُ عليهما معاً، ويشير إلى أنَّ بعض اللُّغات تُعبّر عن اللَّاتمام بمقولة واحدة، ولغات تُعبِّر عنها بمقولات مختلفةٍ، ولغاتٍ لا تُعبِّر إلا عن جزءٍ من المعاني التي تحوز اهتمام جهة اللّاتمام، وأمَّا هذه المعاني فتتمثَّل في مقولتَيْن أساسيَّتَيْن: هما: العادة، والاستمرار الذي ينقسم على قسمين: المتدرِّج وغير المتدرِّج.

---

(١) يُنظر: Aspectual Pairing in Polish: p. 57, 58، ولسانيَّات الجهة في اللُّغة العربيَّة (بحث): ٩٧.

(٢) يُنظر: Aspect: p 16, 17.

(٣) يُنظر: مفهوم الجهة في اللِّسانيَّات الحديثة (رسالة ماجستير): ٢٦.

ويُوضِّح ذلك المُخطَّطُ الآتي[١]:

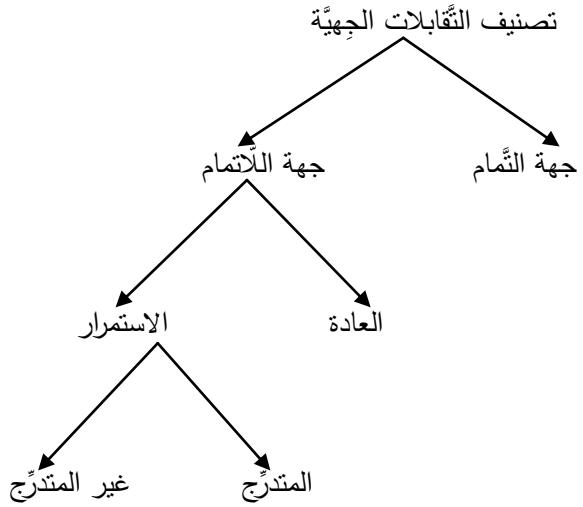

(١) يُنظر: .Aspect: 24,25، ولسانيَّات الجهة في اللُّغة العربيَّة (بحث): ١٠٧.

المبحث الثاني

أثر الوقف والابتداء في المعاني الجِهيَّة

أولاً: أثر الوقف التَّام: يُعرفُ هذا الوقف بأنَّه الذي يَحسُنُ القطع عليه، والابتداء بما بعده؛ لأنَّه لا يتعلَّق بشيءٍ مِمَّا بعده كالوقف على كلمة (المفلحون)، في قوله تعالى: ﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ٥]، والابتداء بعدها بقوله: ﴿**إِنَّ الذين كفروا**﴾ [البقرة: ٦][١]، ويُقسَّم على قسمين: الأول: اللازم: ويعني أنَّه إنْ وُصِلَ ما بعده به، أدَّى إلى تغيير المرام، وتشنيع معنى الكلام، والآخر: المطلق: ويعني أنه يجوز وصله بما بعده، ما دام ذلك لا يُغيِّر المعنى المراد[٢]، ولعلَّ الوقف التَّام هو أكثر الأنماط تحقيقاً للجهات الزَّمنيَّة الطَّبيعيَّة المقصودة؛ لما فيه من الالتزام الطَّبيعي بالنظام النَّحوي والتَّركيبي للكلمات والجُمل، فإنْ أخلَّ القارئ في مواضعه، أدَّى ذلك إلى تغيير دلالات الجهة، إلى معانٍ غير مقصودة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾ [النِّساء: ١١٨]، إذ يجب الوقف على كلمة (الله)؛ لأنَّه وقف تامّ لازم، والابتداء بما بعدها، فمع هذا الوقف وهذا الابتداء، تُشير جملة **(لَعَنَهُ اللَّهُ)** لسانياً إلى جهة التَّمام، وإلى جهة الماضي المطلق، وكذلك جملة **(وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا)**، فإنْ وصل القارئ الجملة الثَّانية بالأولى، صارَ القول معطوفاً على اللَّعن، وصارت الجهتان الزَّمنيَّتان المعطوفتان في حكم الجهة الواحدة بناءً على تغيُّر دلالتها؛ إذ يكون القول حينئذٍ صادراً من الله، كما اللَّعنُ، وليس ذلك مراداً، بل اللَّعنُ من الله، والقول من الشيطان[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿**فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ**﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فإنْ كان الإيمان صادراً من لوط (عليه السلام)، والقول لإبراهيم (عليه السلام)، توجَّب الوقف على كلمة (لوط)؛ لأنه سيكون وقفاً تامَّاً لازماً، وتُفصح لسانيَّات الجهة معه عن جهة التَّمام، وجهة الزَّمن الماضي المطلق، أي: هناك جهتان زمنيَّتان منفصلتان في كلٍّ جملة، فإذا وُصلت الجملة الثَّانية بالأولى، صار القول معطوفاً على الإيمان، والجهة الزَّمنيَّة واحدةً، بمعنى أنَّ الإيمان والقول صادران من لوط (عليه السَّلام)، فإنْ كان هذا المعنى مقصوداً، لم

(١) يُنظر: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: ١٤٩، المكتفى في الوقف والابتدا: ١٩.

(٢) يُنظر: كتاب الوقف والابتداء: ١٠٥.

(٣) يُنظر: البحر المحيط: ٤: ٧٠.

يكن الوقف على كلمة (لوط) لازماً، بل سيكون وقفاً كافياً، وقد ذكر المفسِّرون أنَّ المعنيَيْنِ محتملان(١).

ومن ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۘ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ**﴾ [هود: ٢٠]، ففي هذه الآية يجب الوقف على كلمة (أولياء)؛ لأنَّه وقف لازم تام، فتشير معه الجملة المنفيَّة إلى جهة التَّمام، وجهة الماضي المطلق، حيث تحقَّقت بوساطة الفعل (كان)، الذي دلَّ على الزَّمن الماضي وجهته المطلقة؛ لعدم ارتباطه بأداة ذات قيمةٍ لسانيَّة جِهيَّة(٢)، في حين تُشير الجملة الثَّانية عند الابتداء بها إلى جهة اللَّاتمام، وجهة المستقبل المطلق، فإذا وصل القارئ الكلام، ولم يقف على كلمة (أولياء)، صار المعنى مغايراً لما قصده الله سبحانه وتعالى؛ وذلك أنَّ جملة (يُضاعَفُ) ستكون صفةً للأولياء، وستكون جهة المستقبل المطلق داخلةً في جهة الماضي المطلق، ومتعلِّقةً بها، وليست منفصلةً عنها، وليس ذلك مراداً، بل المراد في الجملة الثَّانية إخبارٌ بأنَّ ((العذاب المُضاعَفُ هو عذاب الآخرة بقرينة قوله: ﴿**لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾ المُشْعِرِ بتأخير العذاب عنهم في الدُّنيا لا عن عجز))(٣).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٦]؛ إذ عُدَّ الوقف على كلمة (يسمعون) وقفاً لازماً تامَّاً، تدلُّ معه الجملة الأولى من النَّاحية اللِّسانيَّة على مقولة العادة في جهة اللَّاتمام، وعلى جهة الحال المطلق، فيما تشير الجملة الثَّانيَّة إلى مقولة العادة في جهة اللَّاتمام، وإلى جهة المستقبل المطلق، ولكنَّنا نرى أنَّ وصل الكلام ها هنا لا يَقدَحُ في الدَّلالة اللِّسانيَّة للجهات، إلَّا إذا وُقِفَ على كلمة (الموتى)، فحينئذٍ يصير (الموتى) الذين قُصِدَ بهم الكُفَّار(٤)، مشاركين في الاستجابة مع الذين يسمعون، فإن وُصِل الكلام، فإنَّنا نرى ذلك ممكناً؛ لأنَّ في الفعل (يَبْعَثُ) ضميراً يعود إلى (الموتى)، جعل النَّصَّ مترابطاً ومفهوماً، ولم يؤدِّ إلى تغيير في دلالة الحدث وجهاته الزَّمنيَّة المشار إليها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَا**﴾ [التَّوبة: ٤٠]؛ إذ إنَّ الوقف على كلمة (السُّفلى) وقف تامٌّ مطلقٌ، تشير معه الجملة إلى جهة

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣٣٩، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٤: ٢٩٧.

(٢) يُنظر: الجهة في القرآن الكريم: ١١٣، ١٦٤.

(٣) التَّحرير والتنوير: ١٢، ٣٦، ويُنظر: المحرر الوجيز: ٣: ١٦٠.

(٤) يُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب: ٨: ١٢٠.

الماضي المطلق، ونرى أنَّه إنْ وُصِلت بما بعدها لم تتأثر دلالة الجهة الزَّمنيَّة، شرط ألَّا يوقف على كلمة (الله)، فإنْ وُقِفَ عليها – رفعاً – لم تكن الجملة ذات معنى، وقد قُرِأَتْ (كلمة الله) في الآية المذكورة بالنَّصب، وعلى هذه القراءة: ((لا يكفي الوقف على (السُّفلى)؛ لأنَّ (الكلمة) الثَّانية نسقٌ على الأولى))[1]، وفيها تشير الآية كلُّها إلى جهة الماضي المطلق، ولكنَّ بِنية الحدث الدَّاخليَّة لهذه الدَّلالة الجِهيَّة قد تُولِّد لبساً في المعنى؛ وذلك أنَّها تكونُ شاملةً للكلمتين معاً، في كونهما سُفليَيْنِ، وحاشا أن تكون كلمة الله كذلك، وقد نبَّه أبو البقاء العكبريّ (ت٦١٦هـ) على ضعف المعنى في هذه القراءة[2]، وفي ضوء ذلك نرى أنَّ بعض الوقف التَّام اللازم، والوقف التَّام المطلق لا يُؤثِّر في الدَّلالة اللِّسانيَّة للجِهيَّة، ولا يؤثِّر في معنى النَّصِّ.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا**﴾ [آل عمران: ١٨١]، ففي هذه الآية وجب الوقف على كلمة (أغنياء)؛ لِئلَّا يُصبح قوله سبحانه: ﴿**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا**﴾ صادراً من قولهم، فتكون الجهة الزَّمنيَّة للحدث متداخلةً مع غيرها؛ وذلك أنَّ في النَّص ثلاث جهات زمنيَّة: الأولى: جهة الزَّمن الماضي المؤكَّد، وهي المتحقِّقة من (قد + فَعِلَ)، والثَّانية: جهة الماضي المطلق، المتحقِّقة من (قالوا)، وهي ليست جهة مستقلَّة، بل داخلةً في ضمن الجهة الأولى؛ لأنَّ الحدث فيها جاء صِلةً لـ (الذين)، والثَّالثة: جهة المستقبل المطلق، المتحقِّقة من (سَيَفْعَلُ)، وقد قِيل: إنَّ هذا التَّركيب يشير إلى جهة المستقبل القريب، بحكم أنَّ بعض النَّحويِّين قد أشاروا إلى أنَّ اقتران (السين) بالفعل تشير إلى قرب وقوع الحدث، و(سوف) إلى بُعده، وقد ناقشنا هذه المسألة في كتابنا (الجهة في القرآن الكريم، دراسة لسانيَّة في البِنية والوظيفة)، وبيَّنا ألَّا علاقة لقرب الحدث وبعده بالسِّين وسوف[3]. فإذا وُقِف على كلمة (أغنياء) صار الوقف لازماً تامَّاً، وبَقِيت الجهات الزَّمنيَّة سالمةً من التَّغيير، واللَّبس، فإنْ وُصِل بما بعدها صار الوقف قبيحاً؛ لتغيُّر دلالة الجهات، وتغيُّر المعنى اللِّساني المرتبط بها.

ومنه قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [البقرة: ٦١]، فالوقف على كلمة (الحقّ) وقف تامّ مطلق، وفيه تتحقَّق جهة الماضي المستمر، المتمثلة في صيغة (كانَ يَفْعَلُ)، فإنْ وُقِف على كلمة (الله)، وابتُدِأ بعده بكلمة (ويَقتلون)، تغيَّرت الدَّلالة اللِّسانيَّة الجهيَّة، وتغيَّر معها المعنى المقصود؛ إذ إنَّ (كانوا يكفرون.. ويقتلون) جهةٌ واحدةٌ، هي الماضي المستمر، فإذا قُطِع العطفُ، وابتُدِأ بما بعده،

(١) يُنظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ١٠٧.

(٢) يُنظر: التِّبيان في إعراب القرآن: ٢/ ٤٢٠.

(٣) يُنظر: الجهة في القرآن الكريم: ١٨٧.

احتُمِلَ أن يتولَّد لبسٌ في المعنى الجِهيّ؛ لأنَّ الابتداء بـ(ويَقتلون) يشير لسانيًّاً إلى أنَّ الجهة هي الحال المطلق، وليس ذلك مراداً في النَّصِّ.

وقد أشرنا آنفاً إلى أنَّ الوقف على رؤوس الآي عُدَّ من الوقف التَّام المطلق، بيد أنَّ هناك عدداً من رؤوس الآي لا تنسجم مع هذا الوقف؛ وذلك لأنَّ تَحقُّقَ الدَّلالات اللِّسانيَّة الجهيَّة مرتبطٌ بما بعدها، حيثُ توقُّفُ المعنى المراد عليها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الصَّافَّات: ١٣٧- ١٣٨]، ففي هذا النَّص يرى أبو عمرو الدَّاني (ت٤٤٤هـ)، والسَّجاوندي (ت٥٦٠هـ) أنَّه لا ينبغي الوقف على كلمة (مُصبحين)، لمكان العطف، ووصفا الوقف على قوله (وباللَّيل) بالوقف التَّام المطلق[١]، وبناءً على ذلك فإنَّ الوقف على قوله (وباللَّيل) يشير إلى تحقُّق جهة زمن الحال المطلق، فإنْ وُقِف على كلمة (مُصبحين) صارت الجهةُ الزَّمنيَّةُ مُقتصرةً على وصف الحدث في وقت الصُّبح فقط، وليس ذلك مراداً كما جاء في التَّفسير، فقد ذكر المُفسِّرون أنَّ معنى الآية: ((يمُرُّون عَلى منازلهم في الصَّباح تارَةً، وفي اللَّيل تارَةً، بحسب تقدير السَّير في أوَّل النَّهار وآخِرِهِ؛ لأنَّ رحلة قريش إلى الشَّام تكون في زمن الصيف، ويكون السيرُ بُكرةً وعَشِيًّا وسُرَى))[٢].

ثانياً: أثر الوقف الكافي: يُراد به الوقف الذي يَحسُنُ القطع عليه، والابتداء بما بعده، بيد أنَّ الذي بعده يكون متعلِّقاً به من ناحية المعنى فقط، كما في قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ**﴾ [النِّساء: ٢٣]، حيث يجوز الوقف على (أُمَّهاتِكم)، والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلِّها[٣]، ونرى أنَّ هذا الوقف لا يكاد يُغيِّر كثيراً من طبيعة الجهات الزَّمنيَّة، وذلك إن التُزِمَ به في القراءة، كما في قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ**﴾ [المائدة: ٥]، فالوقف على كلمة (الطَّيِّبات) كافٍ، وفيه تدلُّ الجهة الزَّمنيَّة - صرفيًّاً - على جهة التَّمام، و- تركيبياً - على جهة الحال الآنيّ، إنْ افترضنا تطابق زمن التَّلفُّظ كُلِّيًّاً مع زمن الحدث، فإذا وُصِل الكلام، لم تتأثر الدَّلالة الجِهيَّة اللِّسانيَّة؛ لأنَّ الجملة الثَّانية اسميَّة وليست فعليَّة.

ولكنَّ ذلك لا ينفي أنَّ بعض مواضع هذا الوقف قد تُؤثِّر في معاني الجهة، ولاسيَّما إذا كان في الآية خلافٌ على مستوى الإعراب، أو في القراءات، أو إذا وصل القارئ الكلام

(١) يُنظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ١٩٧، وكتاب الوقف والابتداء: ٣٦٣.

(٢) التَّحرير والتنوير: ٢٣، ١٧١، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ١٢١.

(٣) يُنظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ٢١، ونظام الأداء في الوقف والابتداء: ٣٨، والنَّشر في القراءات العشر: ١: ١٧٨.

بما بعده، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٧١]، ففي هذه الآية يُعدُّ الوقف على (لكم) وقفاً كافياً؛ إذ إنَّ الجملة ما بعده مُنفصِلة عنه من حيث اللَّفظ، فتشير كلمتا (تُخفوها) و(تُؤتوها) في الجملة الأولى – صرفيَّاً – إلى مقولة الاستمرار غير المُتدرِّج في جهة اللَّاتمام، وأمَّا تركيبيَّاً فالكلمتان فاقدتان لدلالتهما الجهيَّة المُتمثِّلة بجهة الحال المطلق؛ لاقترانهما في أسلوب شرط؛ فحينئذٍ تُؤدِّيان ناحيةً من نواحي الدَّلالة الفعليَّة وهي الاستمراريَّة، من دون تعيينٍ لأيِّ مسافةٍ زمنيَّة، بل هناك اتِّجاه لتعيين اللَّاتمام في زمن الحال فقط[١]، فإذا وُصِل بما بعد هذا الوقف لم يحصلْ أيُّ تأثير في دلالة قوله (يُكَفِّرُ) على الاستمرار غير المتدرِّج في جهة اللَّاتمام، وعلى جهة زمن الحال المطلق، بيد أنَّ قوله (يُكَفِّرُ) قد قُرِئَ بالنُّون والجزم (نُكفِّرْ)[٢]، مِمَّا يعني أنَّ الوقف على (لكم) لم يعدْ كافياً، بل يجب الوصلُ في الكلام ((عَطْفاً على موضع جملة الجواب، وهي جملة "فَهُو خَيْرٌ لَكم"، فَيَكُونُ التَّكْفِيرُ مُعَلَّقًا عَلى الإخْفاءِ))[٣]، وهذا يعني أن جميع الأفعال في الآية صارت مقترنة في أسلوب شرط، مِمَّا يُفقدُها دلالتها الجِهيَّة المتمثِّلة بالحال المطلق، فتَصيرُ مُقتصِرةً على الدَّلالة على جهة اللَّاتمام من دون نظرٍ إلى زمن.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ**﴾ [البقرة: ١٠٢]، ففي هذه الآية يُحتمَل أن تكون ما في قوله (وما أُنزلَ) اسماً موصولاً معطوفاً على (السِّحر)، أو نافية، فمن جعلها موصولةً وصل ولم يقطعْ، ومن جعلها نافية قطع على (السِّحر)[٤]، وهذا يشير إلى أنَّ الوقفَ على كلمة (السِّحر) – على الرأي الثاني – وقفٌ كافٍ، ومعه تشير جملة (يُعلمُّون النَّاس السِّحر) إلى مقولة العادة في جهة اللَّاتمام، وإلى جهة الحال المطلق، وحين الابتداء بما بعدها، تشير جملة (وما أُنزِلَ) إلى نفي الحدث في جهة الماضي المطلق، فإنْ عُدَّتْ (ما) موصولةً صار في الكلام جهة واحدة هي: جهة اللَّاتمام – صرفيَّاً– وجهة الحال المطلق – تركيبيَّاً–.

ومنه قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة: ٧]، ففي هذه الآية يُعدُّ الوقف على قوله: (وعلى سمعهم) وقفاً كافياً، وفيه يشير الكلام إلى جهة الماضي المطلق، وحذارِ ها هنا أن يُوقف على قوله (وعلى

---

(١) يُنظر: الجهة في القرآن الكريم: ١٨٧.

(٢) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وخلف بالنُّون والجزم (نُكفِّرْ)، والباقون برفع الرَّاء، يُنظر: التَّيسير في القراءات السَّبع: ٨٤.

(٣) التَّحرير والتَّنوير: ٣: ٦٩.

(٤) يُنظر: النَّشر في القراءات العشر: ١: ١٨٠، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتدا: ٣٢.

أبصارهم)؛ لأنَّ الدلالة الجهيَّة للحدث – وهو الختم – تكون في القلوب والأسماع والأبصار أيضاً، وليس ذلك مراداً في قراءة مَن قَرأَ (غِشاوةٌ) بالرَّفع، في حين لا يُوقَفُ على قوله: (وعلى سمعهم) إذا كان معنى الختم لا يشمل الأسماع ولا الأبصار، قال ابن عطيَّة: ((وقال بعض المفسِّرين: الغِشاوةُ على الأسْماع والأبصار، والوَقْفُ في قوله: "على قلوبهم"))[١]، وهذا يعني أنَّ الدَّلالة الجِهيَّة اللِّسانيَّة لحدث الختم مُقتصِرةً على القلوب فقط، وقد قُرأ قوله: (غشاوة) بالنَّصب، وذلك إمَّا على: إضمار فعل لائق، أي: (وجَعلَ على أبصارِهم غِشاوةً)، وإمَّا بالنَّصب على إسقاط حرف الجر، والتَّقدير: ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم بغشاوة، وإمَّا أن يكون (غشاوة) اسماً، وُضِع موضعَ المصدر الملاقي لـ (ختم) في المعنى؛ لأنَّ الختم والتغشية يشتركان في معنى التَّستُّر[٢]، وعلى هذه القراءة – أي قراءة النَّصب– تكونُ دلالة الحدث الجِهيَّة واحدةً، هي جهة الماضي المطلق، ويستلزم تحقُّقها الوقف على قوله (غِشاوة).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبصَٰرِهِم لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجنُونٞ**﴾ [القلم: ٥١]، ففي هذه الآية نرى أنَّ الوقف على قوله: (الذِّكر) قد يكون وقفاً كافياً؛ لأنَّه يمكن أن تكون الواو في (ويقولون) استئنافيَّة لا عاطفة؛ إذ لو كانت عاطفةً كان المعنى: (وإنْ يكادُ الذين كفروا ليزلقونك) و(إنْ يكادُ الذين كفروا يقولون)، أي المقاربة في وقوع الحدثين، ولا يبدو ذلك مقصوداً في حدث القول، وآية ذلك أنَّ القرآن الكريم ذكر في مواضع كثيرةٍ ﴿**وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيهِ ٱلذِّكرُ إِنَّكَ لَمَجنُونٞ**﴾ [الحجر: ٦]، وقوله: ﴿**ثُمَّ تَوَلَّواْ عَنهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجنُونٌ**﴾ [الدُّخان: ١٤]، فهاتان الآيتان صرَّحتا بأنَّهم قالوا إنَّه لمجنون، ولم يقاربوا قولهم، ولعلَّ ما يؤكِّد ذلك أن جلَّ المُفسَّرين يذكرون في تفسير آية القلم أنَّ المعنى: ينسبونك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن[٣]، فلم أرَ مَنْ أشار إلى المقاربة في وقوع الحدث، وبناءً على ذلك نرى أنَّ الوقف على قوله: (الذِّكر) وقف كافٍ، وتشير معه الآية لسانياً إلى جهة الحاضر، أو الحال المطلق؛ إذ أسهم الفعل (يَكادُ) بصيغته: ((في تحديد هذه الجهة الزَّمنيَّة، وأسهم بدلالته الدَّاخليَّة في إفراز جهة حدثيَّة هي جهة المقاربة))[٤]، وحينئذاك تشير جملة (ويقولون) – صرفيَّاً – إلى مقولة العادة في جهة اللَّاتمام،

(١) المُحرِّر الوجيز: ١: ٨٨.

(٢) يُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب: ١: ٣٢٢.

(٣) يُنظر: الكشَّاف: ٤: ٥٩٧، واللُّباب في علوم الكتاب: ١٩، ٣١٠.

(٤) الجهة في القرآن الكريم: ١٩٦.

وتشير تركيبياً إلى جهة الحال المطلق، فإنْ قيل: إنَّ الواو في (ويقولون) عاطفة، صار في الآية جهة واحدة هي جهة الحال المطلق، وجهة المقاربة الحدثيَّة.

ثالثاً: أثر الوقف الحسن: ويُقصد به الوقف الذي يَحسُنُ القطعُ عليه، ولا يَحسُنُ الابتداء بما بعده؛ وذلك لتعلُّقه به لفظاً ومعنًى، كما في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ١]، فالوقف على كلمة (لله)، وقفٌ حسنٌ؛ لأنَّ المراد مفهوم، إلَّا أنَّ الابتداء بـ(ربِّ العالمين) غير جائز، بيد أنَّه أُجيزَ من ذلك ما كان رأس آية[١]، وقِيْل: إنَّه قد يَحسُنُ الابتداء بما بعده إذا أفادَ معنًى[٢]، ونعتقد أنَّ هذا الوقف يتطَّلب من القارئ ذكاءً وإتقاناً له؛ لأنَّ فيه مساحةً واسعةً من الأداء، قد تؤدي إلى تغييرٍ الدلالات الزَّمنيَّة والجِهيَّة للأحداث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾ [المائدة: ٨٥]، فالجهة في هذه الآية هي جهة الماضي المطلق، إن ابتدأ القارئ بقوله: (فأثابهم) ووقف على قوله (فيها)، وذلك وقفٌ كافٍ، فإذا وقف القارئ على قوله (قالوا) كان وقفاً حسناً، ولكنَّه لا يَحسُنُ الابتداء بما بعدها مباشرة؛ لأنَّ قوله (جنَّاتٍ) مفعول لـ (أثابهم)، وكذلك لا يَحسُنُ الابتداء بقوله: (قالوا)؛ لأنَّ المعنى سيكون أنَّ الذين آمنوا المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ**﴾ [المائدة: ٨٢]، يقولون: جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار..إلخ، وليس ذلك هو المقصود، وستكون فيه جهة زمنيَّة أخرى للماضي المطلق منفصلة عن الجهة الأولى المرتبطة ببداية الآية، ونرى ألَّا بأس في الوقف على قوله (جنَّاتٍ)، والابتداء بقوله: (تجري)، فالمعنى حينئذ واضح لا غموض فيه، وستكون في النَّص دلالة جهيَّة أخرى هي: جهة الحال المطلق، وكذلك مقولة العادة في جهة اللَّاتمام.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ**﴾[سبأ: ٥٣]، ففي هذه الآية نرى أنَّ الوقف على قوله (قبلُ) حسنٌ، ويُمكن أن يُبتدأ بما بعده، وحينئذٍ تُشير الجملة الأولى – صرفيَّاً – إلى جهة التَّمام، و– تركيبيَّاً – إلى جهة الماضي المطلق البعيد، في حين تُشير الجملة الثَّانية – صرفيَّاً – إلى جهة اللَّاتمام – وإن كان الزَّمن ماضياً – إذ إنَّ بناء (يَفْعَلُ) يُمكن أن ((يُستعمل للتَّعبير عن أحداث تحيل على الزَّمن الماضي حين وجود قرينة سياقيَّة تُرشِّحها لذلك، ولكنَّ الجهة هي جهة اللَّاتمام، وليس التَّمام))[٣]، ومِمَّا يدلُّ على أنَّ الزَّمن ماضٍ هو عطفُ جملة (ويقذفون) على (وقد كفروا به)،

(١) يُنظر: نظام الأداء في الوقف والابتداء: ٤٦.

(٢) يُنظر: الميزان في أحكام تجويد القرآن: ٢٠٨.

(٣) الجهة في القرآن الكريم: ١٣٨.

وقد ورد في التَّفسير: أن اختيار صيغة المضارع جاء لحكاية الحال الماضية[١]، وفضلاً عن جهة اللَّاتمام، تشير الجملة أيضاً – تركيبيًّاً – إلى جهة الحال المطلق، ونرى أنّها ستكون منفصلةً عن جهة الماضي المطلق، إذا وقف القارئ على كلمة (قبلُ)، وابتدأ بما بعدها، فيما نُرجِّح أنَّها ستكون داخلةً في الجهة الأولى، وذلك حين الوصل في القراءة، فتكون جهة الحدث الأساسيَّة في النَّص هي: الماضي المطلق البعيد، وتشتمل بنيتها الدَّاخليَّة على جهة أخرى في ضمنها، وهي جهة الحال المطلق البعيد نسبيًّاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾ [يوسف: ٩٢]، ففي هذه الآية نرى أن الوقف على كلمة (اليوم) يجوز أن يُعَدَّ وقفاً حسناً، فتشير الجملة إلى جهة الماضي المطلق، وإلى جهة التَّمام، فيما يشير الابتداء بـ (يغفر) إلى جهة المستقبل المطلق، وإلى مقولة الاستمرار في جهة اللَّاتمام، فإذا وقف القارئ على قوله (عليكم) وابتدأ بـ (اليومَ يغفرُ)، كان الوقف حسناً أيضاً، ولكنَّه على معنى جَعْلِ خبرِ (لا) هو (عليكم)، والظَّرفِ (اليوم) مُتعلِّقاً بـ(يغفر)[٢]، فيُصبِحُ الكلام دالًّاً على الزَّمن الحاضر، وبناءً على هذا الوقف والابتداء تكون الجملة الأولى التي تبدأ بـ (قال) دالَّةً على جهة الماضي المطلق، وعلى جهة التَّمام، فيما تكون الجملة الثَّانية التي تبدأ بـ (اليومَ يغفرُ) دالَّةً على جهة الحال الآني؛ إذ لا مناص من اعتبار حصول المواقتة بين زمني الحدث والتَّلفُّظ؛ لأن المعنى سيكون: أنَّ الله يغفر لهم في تلك السَّاعة؛ لأنَّها ساعة توبة، لِما تجدَّد من توبتهم وندمهم على خطيئتهم[٣]، وتدلُّ الجملة أيضاً على مقولة الاستمرار في جهة اللَّاتمام، ويمكن أن يكون هذا الاستمرار غير متدرِّج؛ لأنَّ البِنية الصَّرفيَّة بيَّنت أنَّ المغفرة حاصلة من دون الكشف عن امتداد، أو فواصل زمنيَّة تستغرقُها الحالة، ويلزم تحقُّق هذا المعنى الجِهيّ الوقف على كلمة (عليكم)، والابتداء بقوله (اليومَ يَغفِرُ)، ونرى أنَّ جهتي الماضي المطلق والتَّمام في المقطع الأول، وجهتي المستقبل المطلق واللَّاتمام في المقطع الثَّاني قد تكون هي المقصودةَ، أي: الوقف على (اليوم)، والابتداء بـ (يُغفر)؛ وذلك لأنَّ المغفرة لم تحصل ساعةَ التَّلفُّظ بالكلام، وإنَّما حاصلة في زمن المستقبل، بدليل قوله تعالى: {**قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**}[يوسف: ٩٨].

رابعاً: أثر الوقف القبيح: يعني هذا الوقف أنَّه ((الذي لا يُعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف على قوله: ﴿**بِسۡمِ**﴾، و﴿**مَلِكِ**﴾، و﴿**ربِّ**﴾، و﴿**رُسُلُ**﴾، وشبهه، والابتداء بقوله:

(١) يُنظر: الكشَّاف: ٣: ٥٩٤، والتَّحرير والتَّنوير: ٢٢: ٢٤٤.

(٢) يُنظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢: ٤٧٩.

(٣) يُنظر: البحر المحيط: ٦: ٣٢١، والتَّحرير والتنوير: ١٣: ٥٠.

﴿اللهِ﴾، و﴿يَومِ الدِّيْنِ﴾، و﴿الْعَالَمِيْنَ﴾، و﴿السَّماواتُ﴾، و﴿الله﴾؛ لأنَّه إذا وقف على ذلك، لم يُعلَمْ إلى أيِّ شيءٍ أُضِيفَ))[1]، ولا يجوز للقارئ ها هنا الوقف إلَّا اضطراراً، كانقطاع النَّفَس، فإنْ وقف مضطراً أعاد، برجوعه كلمةً أو كلمتين، حتَّى يتبيَّن المعنى المراد[2]، وهذا النَّمط من الوقف القبيح يتعلَّق بالجوانب اللَّفظيَّة والتَّركيبيَّة، وهناك نمطٌ ثانٍ يتعلَّقُ بالمعنى، كالوقف على كلام يفيد معنًى يُخالِف المقصود؛ لأنَّ ما بعد الوقف هو الذي يتممه، وذلك مثل الوقف على كلمة (الصَّلاة) من قوله تعالى: ﴿**لَاْ تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ [النِّساء: ٤٣][3].

ونرى أنَّ هذا الوقف يتطلَّبُ من القُرَّاء حذراً كبيراً، وإتقاناً شديداً، للمواضع التي لا يجب الوقف عندها؛ إذ إنَّ وقوع القارئ في الوقف القبيح قد يكون له أثر بارز في تغيير الدَّلالات الجهيَّة للأحداث، ومن ثَمَّ يتبعها تغيير في مجمل المعنى المراد من النَّص، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ**﴾[طه: ٢]، فإذا وقف القارئ على قوله (القرآن) أصاب الجهةَ الزمَّنية وبِنيةَ الحدث الدَّاخليَّة خللٌ يُسهم في تغيير المعنى المراد؛ وذلك لأنَّ الجهة الزَّمنيَّة – وهي جهة الماضي المطلق– ستُصبح دالَّةً على نفي إنزال القرآن بشكل مطلق، وليس ذلك مقصوداً، بل المراد أنَّ الله لم يُرد إنزال القرآن على الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلَّم) ليكون شقاءً له، بل أراد نفي كلِّ شقاءٍ مُطلقٍ مُتعلِّقٍ بهذا الإنزال، وأراد أن يُذكِّر بالقرآن مَن يخاف وعيده[4]، وقد يُتصوَّر أنَّ في كلامنا ضرباً من الافتراض، وأنَّ المعنى واضح، ولا يَقف أحدٌ على كلمة (القرآن)، وهنا أقول: إنَّني سمعت بعض القُرَّاء يقفون على قوله (القرآن)، مِمَّا يُوحي إلى عدم معرفتهم بأصول الوقف والابتداء، وقد قال ابن الطَّحان (ت٥٥٩هـ): ((الوقف القبيح هو مجال القُرَّاء اليوم، وميدانهم الذي فيه يتردَّدون، وخوضهم الذي فيه يلعبون، وذلك بإغماض المُتصدِّرين، وإغضاء المُتلقِّنين المُقصِّرين))[5].

وقد سَمِعتُ ذات يومٍ قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُم يَومَ يَرَونَهَا لَم يَلبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَو ضُحَىٰهَا**﴾[النَّازعات: ٤٦] بصوت القارئ المصريّ محمد عبد العزيز الحصَّان، فوقف على قوله (عشيَّة)، وهو وقف قبيحٌ؛ لأنَّه وقف اختياراً وليس اضطراراً، ثم ابتدأ بعد ذلك ابتداءً قبيحاً أيضاً؛ إذ ابتدأ بقوله: (لم يَلبثوا)، ووَجْهُ القبح أنَّه فصل خبر (كأنَّ) عنها، فابتدأ بما

(١) المكتفى في الوقف والابتدا: ٢٥، ويُنظر: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ١٥٠.

(٢) يُنظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ٢٥، والنَّشر في القراءات العشر: ١/ ١٨١.

(٣) يُنظر: كتاب الوقف والابتداء: ١١٣، ونظام الأداء في الوقف والابتداء: ٥٦.

(٤) يُنظر: التَّحرير والتَّنوير: ١٦/ ١٨٤.

(٥) نظام الأداء في الوقف والابتداء: ٥٩.

يوحي أنَّه خبرٌ جديدٌ، فأدَّى ذلك إلى توليد دلالة جهيَّة غير مقصودة؛ وذلك أنَّ الابتداء بـ (لم يلبثوا) يؤدي إلى الإخبار عن نفي الحدث في زمن الماضي المطلق، وهو المعنى المستفاد من تركيب (لم يَفْعَل)، فالجهة حينئذ جهة الماضي المطلق، وليس ذلك مقصوداً؛ لأنَّ المعنى صِيغ بأسلوب التشبيه، أي: (كأنَّهم لم يلبثوا)، أي هم لَبِثُوا، وليس أنَّهم لم يلبثوا مطلقاً.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِن عُدنَا فِي مِلَّتِكُم بَعدَ إِذ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنهَا**﴾ [الأعراف: ٨٩]، فالوقف على قوله (كَذِباً) قبيح؛ لأنَّ الجهة الزَّمنيَّة حينئذٍ تدلُّ على الماضي المطلق المؤكَّد المُحقَّق، وليس ذلك مقصوداً، من حيثُ بِنية الحدث اللِّسانيَّة للجهة؛ لأنَّ صفة الإطلاق المؤكَّد في الجهة معلَّقٌ حصولها، أي: (إنْ عُدنا في مِلَّتكم .. قد افترينا على الله كَذِباً)، وقال ابن عاشور: ((فالماضي في قوله (افترينا) ماضٍ حقيقيٌّ كما يقتضيه دخول (قد) عليه، وتقديمه عَلى الشَّرط؛ لأنَّهُ في الحالتين لا تقلبه (إنْ) للاستقبال، أمَّا الماضي الواقع شرطاً لـ(إنْ) في قوله (إنْ عدنا) فهو بمعنى المستقبل؛ لأنَّ (إنْ) تقلب الماضي للمستقبل عكس لم))[(١)]، وهذا يعني أنَّ القارئ إذا وقف على كلمة (كَذِباً) وابتدأ بما بعدها، فصل بين الشَّرط وجوابه، وفصل حدث الافتراء عمَّا تعلَّق به، وحينئذ سيكون في (إنْ عُدتُّم عُدنا) جهة زمنيَّة أخرى منفصلة عن الأولى، وهي جهة المستقبل المطلق، وكلُّ القصد في ذلك مرتبط بتعليق الحدث، والوصل في الكلام، وعدم الوقف على قوله (كَذِباً)؛ لأنَّه وقف قبيح.

ومنه قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُم سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغتَسِلُواْ**﴾ [النِّساء: ٤٣]، ففي هذه الآية إذا وقف القارئ على كلمة (الصَّلاة) كان وقفاً قبيحاً؛ لأنَّ الجهة الزَّمنيَّة معه تدلُّ على جهة الحال المطلق؛ ويعني ذلك: نفي الحدث بشكلٍ مطلقٍ، وليس ذلك مقصوداً، بل المراد أنَّ سبحانه وتعالى ينهى عباده ((عن فعل الصَّلاة في حالِ السُّكر، الَّذي لا يدري معه المصلِّي ما يقول، وعن قربان محلِّها –وهي المساجد – للجُنُب، إلَّا أنَّ يكون مجتازًا من بابٍ إلى بابٍ من غير مُكْث))[(٢)]، وفي هذا الحُكم نرى أنَّ التَّسمية المناسبة للجهة هي جهة الحال المُحدَّد، أي: لا تقربوا الصَّلاة في حال السُّكر، وفي حال الجُنُب.

خامساً: أثر وقف التَّعسُّف: يراد بهذا الوقف الذي يتكلَّفه بعض القُرَّاء في أثناء القراءة، وذلك عبر تعمُّد الوقف على غير المألوف من مواضع الوقف، استناداً على ما يتكلَّفه بعضُ المشتغلين بإعراب الكلمات، حين يَجنحون في إعرابهم وتأويلهم إلى ما هو جائز، ولكنَّه

(١) التَّحرير والتَّنوير: ٩/ ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣٠٨.

متعسِّفٌ قد يؤدي بالمعنى إلى الإغراق في الغرابة، والابتعاد عن مألوف، فمن ذلك الوقف على ﴿**أَمْ لَمْ تُنْذِرْ**﴾ والابتداء بـ﴿**هُم لَا يُؤمِنُونَ**﴾ [يس: ١٠]، على أنَّ ﴿**هُم لَا يُؤمِنُونَ**﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وكذلك الوقف على قوله: ﴿**وَارْحَمْنا أَنْتَ**﴾، والابتداء بـ ﴿**مَوْلانا فَانْصُرْنا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، على معنى النِّداء، أي: يا مولانا فانصرنا(١).

ولا ريب أنَّ هذا الوقف يُسهم في تغيير المعاني الجِهيَّة للأحداث، وإذا كان وقد وُصِفَ بالتعسُّف والتَّكلُّف، فإنَّ الدَّلالات الجِهيَّة المُترتِّبة عليه يُمكنُ وصفُها بالتعسُّف والتَّكلُّف أيضاً؛ إذ هي ليست مقصودةً في الأصل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَجَآءَتهُ إِحدَىٰهُمَا تَمشِي عَلَى ٱستِحيَآء قَالَت إِنَّ أَبِي يَدعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجرَ مَا سَقَيتَ لَنَا**﴾[القصص: ٢٥]؛ إذ يقف بعض القُرَّاء على قوله: (تمشي)، ثم يبتدؤون بقوله: (على استحياءٍ قالت)، وهذا النَّمط من الوقف مُتكلَّفٌ فيه؛ لأنَّه يَفصِلُ الأحداث وجهاتها الزَّمنيَّة عن بعضها، ومن ثَمَّ يؤدِّي ذلك إلى تغييرٍ في المعنى المراد، فالجملة الأولى: (فجَاءته إحداهما تَمشي) تشير إلى جهة التَّمام، وجهة الماضي المطلق المستفاد من صيغة (فَعَلَ)، وتضمُّ هذه الجهة حدثاً فرعيَّاً متصلاً بها، يشير إلى جهة اللَّاتمام، وجهة الحال المطلق المستفاد من صيغة (تَفعِل)، فإذا ابتدأ القارئ بعدها بقوله: (على استحياءٍ قالت) جعل الحياءَ مرتبطاً بحدث القول، وليس ذلك مقصوداً، فالغريب في هذا الوقف والتَّعسُّف فيه أنَّه يشير إلى جملة غير مكتملة في المعنى، فماذا يعني أنَّها جاءت تمشي؟ أي: ما المعلومة التي سيُفيدُ منها السَّامع حين يعرف أنَّ إحدى هاتين المرأتين جاءت ماشية؟ وإنَّما ذكر "تمشي" ((لِيبنِيَ عليه قوله (على استحياءٍ) وإلَّا فإنَّ فعل (جاءَتْهُ) مُغْنٍ عن ذكر تَمْشِي))(٢)، مِمَّا يعني أنَّ تسلسل الأحداث مبنيٌّ على ما يأتي:

١- فجاءته (جهة الماضي المطلق).

٢- تمشي على استحياءٍ (جهة الحال المطلق، وهي جهة فرعيَّة، أو ضمن الجهة الأولى).

٣- قالت (جهة الماضي المطلق).

وهذا التَّرتيب المتزامن والمتسلسل للأحداث لا يتحقَّق إذا وقف القارئ على قوله: (تمشي)، وبدأ بقوله (على استحياءٍ)، مِمَّا يدلُّ على تعسُّف هذا الوقف، وتعسُّف الجهة المرتبطة به.

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**فَٱنتَقَمنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَينَا نَصرُ ٱلمُؤمِنِينَ**﴾ [الرُّوم: ٤٧]، ففي هذه الآية يقف بعض القُرَّاء على قوله (حقًّا)، حيث يكون اسم (كان) مُضمراً، يعود على (انتقمنا)، أي وكان الانتقامُ حقًّا، ثم يبتدؤون بـ (علينا نصر المؤمنين)، بوصفها جملةً جديدةً مكوَّنةً من مبتدأ مؤخر، وخبر مقدَّم، بمعنى واجب أو لازم،

(١) يُنظر: النَّشر في القراءات العشر: ١: ١٨٢، والميزان في أحكام تجويد القرآن: ٢١٣.

(٢) التَّحرير والتَّنوير: ٢٠: ١٠٣.

وهذا التَّعسُّف في الوقف يؤدِّي إلى تغيير بِنية الحدث الدَّاخليَّة؛ إذ إنَّ جهة الماضي المطلق في (كان) مُتعلِّقة بـ (نصر المؤمنين)، وليس في حدث الانتقام؛ لأنَّ كان ((تفيد الزَّمان مجرَّداً من معنى الحدث، فتدخل على المبتدأ والخبر؛ لإفادة زمان الخبر، فيصير الخبر عِوضاً من الحدث فيها، فإذا قلت: كان زيدٌ قائماً، فهو بمنزلة قولك: (قام زيدٌ) في إفادة الخبر والحدث))[١]. زد على ذلك أنَّ هذا الوقف والابتداء يشير إلى رتابةٍ في الجمل لفظاً ومعنى؛ إذ إنَّ النَّص مبنيٌّ على هذه المقابلات:

- ولقد أرسلناً من قبلك رسلاً (جهة الماضي المطلق المؤكَّد).
- فجاؤهم بالبينات (جهة الماضي المطلق المؤكَّد).
- فانتقمنا من الذين أجرموا (جهة الماضي المطلق المؤكَّد).
- وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (جهة الماضي المطلق).

فإذا وُقِف على قوله (حقًّا) أدَّى ذلك إلى تغيير في بنى الأحداث وجهاتِها؛ إذ يصير المعنى (فانتقمنا .. وكان الانتقام حقًّا)، وما هذا إلا إعادة للنَّص بطريقة أخرى، فكلُّ ذلك تعسُّفٌ وتكلُّف، ففيه يقول ابن عطيَّة: ((ثُمَّ وعد تعالى محمَّدًا (ص) وأمَّته النَّصرَ؛ إذْ أَخْبرَ أنَّه جعله حقًّا عليه تبارك وتعالى، و"حَقًّا" خبر "كان" قَدَّمَهُ اهتمامًا، لأنَّه موضع فائدة الجملة، وبعض القُرّاء في هذه الآية وقف على قوله: "حَقًّا"، وجعله من الكلام المتقدِّم، ثُمَّ استأْنف جملة من قوله :﴿عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾، وهذا قولٌ ضعيفٌ؛ لأنَّه لم يدرِ قدر ما عرضه في نظم الآية))[٢].

سادساً: أثر وقف المعانقة أو المراقبة: ويُسمَّى أيضاً بوقف التجاذب، وهو: ((أَنْ يَكُونَ الكلامُ له مقطعان على البدل، كُلُّ وَاحِدٍ منهما إذا فرض فيه، وجَبَ الوصلُ فِي الْآخَرِ، وَإِذَا فُرِضَ فيه الوصل وجب الوقفُ في الْآخَرِ))[٣]، ويكون ذلك إذا تعانق وقفان في موضعين متقاربين، أو متتاليين في آية واحدة، فحينئذ لا يصحُّ للقارئ أن يقف على كلٍّ منهما، بل إذا وقف على أحدهما، امتنع الوقف على الآخر؛ وذلك لئلا يختلُّ المعنى[٤].

ونرى أنَّ هذا الوقف له أثره في تغيير الدَّلالة الجهيَّة في الخطاب القرآني؛ إذ إنَّ الوقف على أحد الموضعين، يعني الابتداء بموضعٍ آخر يتجاذب في الدَّلالة الجِهيَّة مع الموضع الذي وُقِفَ عنده، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِمْ أَربَعِينَ سَنَةً**

(١) شرح المفصل: ٧/ ١٧٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٤/ ٣٤١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٦٥.

(٤) يُنظر: الميزان في أحكام تجويد القرآن: ٢١٥.

يَتِيهُونَ فِي ٱلأَرضِۚ فَلَا تَأسَ عَلَى ٱلقَومِ ٱلفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، فموضع المعانقة أو التَّجاذب هو (أربعين سنة)، فيكون في الآية معنيان:

الأول: محُرَّمَة عليهم مدة أربعين سنة.

الثَّاني: يتهيون في الأرض أربعين سنة.

فإذا وقف القارئ على قوله (أربعين سنة)، وابتدأ بعدها بـ (يتيهون) صارت الجهة في الجملة الأولى هي جهة الماضي المُحدَّد، بمعنى أنَّ الحُرمة – المقصود بها حرمة منع لا تعبُّد[1]– لها وقت معلوم، فيما تدلُّ الجملة الثَّانية على جهة الحال المُطلق، أمَّا إذا وقف على قوله (عليهم) وابتدأ بـ (أربعين سنة) دلَّ المقطع الأول على جهة الماضي المطلق، أي: إنَّ الحرمة مؤبَّدة، أو مطلقة، وليست مقيَّدة، ودلَّ المقطع الثَّاني على جهة الحال المُحدَّد، بمعنى أنَّ التيهان له مدَّة معلومة، ولعلَّ في هذا الوقف المُسمَّى بوقف التَّعانق ضرباً من التَّمحُّل والغرابة؛ إذ كيف يجوز الوقف قبل ظرف الزَّمن والتمييز اللذَّين يُعدَّانِ قطعةً أساسيَّة من معنى الكلام الموصوف بهما؟ فالمعنى المناسب الذي نُرجِّحه: أنَّه لمَّا حُدِّدت مُدَّة الحرمة، جِيءَ بجُملة (يتيهون) استئنافاً؛ لِتُوضِّح حالهم في مدة الحِرمان التي فُرِضتْ عليهم. يقول البقاعي (ت٨٨٥هـ): ((أيْ: بسبب أقوالهم هذه؛ وأفعالهم؛ لا يدخلُها ممَّنْ قال هذه المقالة، أو رضِيَها أحد؛ بل يمكثون ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ – جوابًا لِمَن تشعَّب فِكرُه في تعرُّف حالهم في هذه الأربعين، ومحلِّهم من الأرض – قولَه :﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يسيرون متحيِّرين))[2]، وبناءً على ذلك نرى أنَّ في الآية دلالةً جِهيَّة أساسيَّة تتمثَّل في قوله (قَالَ) وهي جهة الماضي المُطلق، وهي تتضمَّن جهة فرعيَّة أخرى داخلة في ضمنها، تتمثل في صيغة اسم المفعول (مُحرَّمة)، وهي: إمَّا أن تكون جهة المستقبل المُحدَّد، أو جهة الحال المُحدَّد، إذا نظرنا إلى حدث التحريم على أنَّه سيحصلُ، أو هو في طور الحصول، فيما تتضمَّن جهة فرعيَّة ثالثة: هي جهة الحال المطلق، المتمثِّلة في قوله (يتيهون)، وفي ضوء ذلك نعتقد أنَّ الوقف المناسب الذي يُحقِّق هذه الدَّلالة اللِّسانيَّة للجهة، إمَّا أن يكون على كلمة (الأرض) – إنْ عُدَّ الوقفُ فيها تامَّاً، أو كافياً – وإمَّا أن يكون في نهاية الآية، فصيغة النَّصِّ تتحوَّل من الحكاية إلى الخطاب، وهي كلُّها داخلة في ضمن الجهة الأساسيَّة (الماضي المطلق)، المتمثِّلة في (قال)، وحينئذ ينتهي الكلام عن بني إسرائيل، ليبدأ الخطاب إلى الرسول محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ومِمَّا يُحسِّنُ هذا الوقف، أو يُحبِّبه لدينا، أنَّه إذا كان ردُّ فعلٍ مطلوبٍ بالخطاب من الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، فهو منفصل عن زمن الحكاية بأكثر من ألفي عام.

---

(١) يُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب: ٧/ ٢٧٧.

(٢) نظم الدُّرر: ٦/ ٧٩.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**لَن تَنفَعَكُم أَرحَامُكُم وَلَآ أَولَٰدُكُمۚ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ يَفصِلُ بَينَكُمۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾ [الممتحنة: ٣]، فموضع وقف المعانقة هو قوله (يوم القيامة)، حيث يكون الظرَّفُ مُعلَّقاً بين النَّفع والفصل، فإذا وقف القارئ على قوله (أولادكم)، وابتدأ بـ(يوم القيامة) كان نفيُ النَّفع على التأبيد، وحينئذ تكون الجهة الحاصلة في هذا المعنى هي جهة المستقبل المطلق، ويكون الظَّرفُ مُعلَّقاً على الفصل، وتبعاً لذلك تشير الجهة الزَّمنيَّة إلى جهة المستقبل المُحدَّد، أمَّا إذا وقف القارئ على قوله (يوم القيامة)، وابتدأ بـ (يفصلُ) حصل العكسُ تماماً، أي: إنَّ نفي النَّفع سيكون مُقيَّداً بيوم القيامة، وفي ضوئه تشير الدَّلالة الجِهيَّة إلى جهة المستقبل المُحدَّد، وسيكون حدث الفصل مُطلقاً، وبناءً عليه تُشير الجهة إلى جهة المستقبل المطلق، ويُرجِّح بعض الباحثين أن يكون الوقف المناسب هو على قوله يوم (القيامة)؛ لتحقُّق المعنى معه من غير تأويل، أو مجاز، أو تقدير، حيث يكون النَّفع من جهة الأرحام والأولاد ممتنع يوم القيامة على الكافرين، ولو كان الوقف على الأول، لكان المعنى امتناع النَّفع في الدُّنيا والآخرة، والواقع غير ذلك؛ إذ إنَّ الامتناع كائن في الدُّنيا، وإنَّما النَّفي في الآخرة[١]، وعلى الرُّغم من وجاهة هذا التَّعليل، فإنَّنا نرى أنَّ الوقف المناسب هو على قوله: (بينكم)؛ حيثُ تشير الجملة معه إلى نفي الحدث مطلقاً، فيكون في الخطاب دلالتان جِهيَّتان متزامنتان، هما: جهة المستقبل المطلق، وجهة المستقبل المُحدَّد؛ وذلك أنَّ الجزء الأول من الجملة يشير إلى نفي الحدث بصورة مطلقة، ثمَّ جِيء بالجزء الثَّاني؛ لتعليل ذلك النَّفي، ويُحتمل أن يكون ما ورد في التَّفسير دليلاً على ذلك. قال الآلوسي في تفسير الآية: إنَّها ((استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذٍ، أي يُفرِّق اللَّه تَعالى بينكم بما يكون من الهول الموجب لفرار كلٍّ منكم من الآخر حسبما نطق به قولُه تعالى :﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِن أَخِيهِ﴾ [عَبَسَ: ٣٤]))[٢]، فهذا النَّصُّ يشير إلى أنَّ المعنى هو عدم نفع الأرحام والأولاد يوم القيامة؛ لأنَّ فيه الفَصلُ بينَهم، وفي ضوء ما تقدم يبدو لنا أنَّ أثر وقف المعانقة على الجهة ودلالاتها قد يُسهم في تغيير المعاني المقصودة من النَّصِّ القرآني، ولعلَّ سبب المجيء بهذا الوقف هو عدم فهم معنى الآية، والوقوف على مقاصدها الحقيقيَّة.

(١) يُنظر: وقف التَّجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم (بحث): ٣٠، والتَّعلُّق اللُّغوي في علم الوقف والابتداء وأثره في اتساع المعنى، بحث مطبوع ضمن كتاب: (البلاغة بين النَّقد والأدب واللُّغة): ١/ ٣٨٥.

(٢) يُنظر: روح المعاني: ١٤/ ٢٦٣.

الخاتمة

توصَّلنا في هذه الدِّراسة إلى جملة من النَّتائج، نُوجزها بما يلي:

١- يُعَدُّ الوقف التَّام أكثر أنواع الوقف تحقيقاً للجهات الزَّمنيَّة المقصودة؛ ولكن عند الإخلال بمواضعه، فذلك يؤدِّي إلى تغيير دلالات الجهة، إلى معانٍ أخرى غير مقصودة.

٢- بيَّن البحثُ أنَّ بعض التَّام اللَّازم، والوقف التَّام المطلق لا يُؤثِّر في الدَّلالة الجِهيَّة، ولا يؤثِّر في معنى النَّصِّ.

٣- بعض رؤوس الآي لا تنسجم مع الوقف التَّام المطلق؛ لأنَّ تَحقُّقَ الدَّلالات الجهيَّة مرتبطٌ بما بعدها، حيثُ توقُّفُ المعنى المراد على الوصل.

٤- بعض مواضع الوقف الكافي تُؤثِّر في معاني الجهة، ولا سيَّما إذا كان في الآية خلافٌ على مستوى الإعراب، أو القراءات، أو إذا وصل القارئ الكلام بما بعده.

٥- يؤدِّي الوقوع في الوقف القبيح إلى تغييرٍ كبيرٍ في الدَّلالات الجهيَّة المقصودة للأحداث، ومن ثَمَّ يتبعها تغيير في مجمل المعنى المراد من النَّص، ولذا فإنَّ القراء مطالبون بالحذر، والإتقان الشديد لمواضع الوقف والابتداء الصَّحيحة.

٦- تُوصَفُ الدَّلالات الجِهيَّة بالتَّعسُّف والتَّكلُّف متى ما لجأ القارئ إلى هذا الوقف (وقف التَّعسُّف)؛ لأنَّ المعاني الجِهيَّة المُترتِّبة عليه ليست هي المقصودة من النَّصِّ.

٧- لوقف المعانقة أثر بارز في تغيير الدَّلالات الجهيَّة؛ لأنَّه يُسهم في اتِّساع دائرة المعنى، ولكنَّ هذا الأثر قد يُسهم في تغيير المعاني المقصودة من النَّصِّ القرآني؛ إذ إنَّ سبب المجيء بهذا الوقف هو عدم فهم معنى الآية، والوقوف على مقاصدها الحقيقيَّة.

٨- تُؤثِّر القراءات القرآنيَّة في مواضع الوقف والابتداء، مِمَّا يُسهم أحياناً في تغيير الدَّلالات الجِهيَّة.

ثبت المصادر

أولاً: المصادر العربية

- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباريّ (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (د. ط)، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٧١م.
- البحر المحيط: أبو حيَّان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط١، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالزَّركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٧م.
- البلاغة بين النَّقد والأدب واللُّغة: أعمال المؤتمر الدُّولي الأوَّل، قسم اللُّغة العربيَّة بكلية الآداب، جامعة الطُّفيلة التِّقنيَّة – الأردن، ط١، دار كنوز المعرفة، عمَّان، ٢٠١٧م.
- البنى الزَّمنيَّة وأشكالها: د. عبد القادر الفاسي الفهري وآخرون، (د. ط)، منشورات معهد الدِّراسات والأبحاث للتَّعريب وجمعيَّة اللِّسانيَّات بالمغرب، ٢٠٠٠م.
- التِّبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبريّ (ت٦١٦هـ)، تحقيق: سعد كريم الفقي، ط١، دار اليقين للنَّر والتَّوزيع، مصر، ٢٠٠١م.
- التَّحرير والتنوير: الطَّاهر بن عاشور (ت١٩٧٣م)، (د. ط)، الدَّار التُّونسيَّة، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، ١٩٩٩م.
- التَّيسير في القراءات السَّبع: أبو عمر عثمان بن سعيد الدَّاني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتوبرتزل (ت١٩٤١م)، (د. ط)، المعهد الألماني للأبحاث الشَّرقيَّة، بيروت، ٢٠٠٩م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، ط٢، دار الكتب المصريَّة القاهرة، ١٩٦٤م.
- الجهة في القرآن الكريم دراسة لسانيَّة في البنية والوظيفة: د. مهند ناصر القريشي، ط١، دار كنوز المعرفة، عمَّان، ٢٠٢٣م.
- روح المعاني: أبو الثَّناء محمود بن عبد الله الآلوسي (ت١٧٢٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيَّة، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٥هـ.

- شرح المفصل: أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. إبراهيم محمد عبد الله، ط١، دار سعد الدِّين، دمشق، ٢٠١٣م.
- فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات: عبد الله الميموني، ط١، دار القاسم، الرِّياض، ٢٠٠٣م.
- كتاب الوقف والابتداء: أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاونديّ (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: د. محسن هاشم درويش، ط١، دار المناهج للنَّشر والتَّوزيع، الأردن، ٢٠٠١م.
- الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّاويل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوَّض، ط١، مكتبة العبيكان، الرِّياض، ١٩٩٨م.
- اللُّباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن عادل الدِّمشقي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوَّض، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨م.
- لسانيات الجهة في اللُّغة العربيَّة: د. نعيمة التَّوكاني، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، العددان: الثَّمانون، والحادي والثَّمانون، ١٩٩٠م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطيَّة الأندلسيّ (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشَّافي، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- مفهوم الجهة في اللّسانيَّات الحديثة دراسة نظريَّة وتطبيقيَّة على اللُّغة العربيَّة المعاصرة، (رسالة ماجستير): الحاج موسى ثالث، جامعة الملك سعود، السَّعوديَّة، ١٤٢٧هـ.
- مقولة الحدث الدَّلاليَّة في التَّفكير اللُّغويّ بحث في الأسس الدَّلاليَّة للبِنى النّحويَّة: د. شكري السَّعدي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ٢٠١٣م.
- المكتفى في الوقف والابتدا: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: جمال الدِّين محمد شرف، (د. ط)، دار الصِّحابة للتُّراث، طنطا، ٢٠٠٦م.
- منار الهدى في الوقف والابتدا: أحمد بن محمد الملقب بالأشموني (من علماء القرن الحادي عشر): علَّق عليه: شريف أبو العلا العدويّ، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الميزان في أحكام تجويد القرآن: فريال زكريَّا العبد، (د. ط)، دار الإيمان، الإسكندريَّة، ٢٠٠٥م.
- النَّشر في القراءات العشر: أبو الخير محمَّد بن يوسف المعروف بابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمَّد الضَّباع (ت ١٣٨٠هـ)، (د. ط)، دار الكتب العلميَّة، بيروت (د. ت).

- نظام الأداء في الوقف والابتداء: أبو حميد عبد العزيز بن علي المعروف بابن الطَّحَّان (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: د. علي حسين البَّواب، (د. ط) مكتبة المعارف، الرِّياض (د. ت).
- نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعيّ (ت٨٨٥هـ)، (د. ط)، دار الكتاب الإسلاميَّة، القاهرة، (د. ت).
- وقف التَّجاذب (المعانقة) في القرآن الكريم: د. عبد العزيز الحربي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللُّغة العربيَّة وآدابها، ج ١٩، ع٣١، ١٤٢٥هـ.

ثانياً: المصادر الأجنبيَّة

- Aspect: An Introduction to the Study of Verbal Aspect and Related problem: Bernard Comrie, Cambridge University, press 1976.
- Aspectual Pairing in Polish: Anna Katarzyana Mlynarczyk, proefschrift ter verkrijginge van de grad van doctor aan de University Utrecht, 2004.